

## ماذا لو كان مارسيل بروست كاتبا جزائريا؟

في الرواية، تغيير اسم قريتهم وتوأمتها باسم القرية الخيالية في الرواية. وأصبح اسمها الرسمي إيلي-كمبراي. وشخصية العمة ليوني في الرواية هي شخصية العمة إيليزابيت الحقيقية وبيتها في الرواية هو بيتها في الواقع بكل تفاصيله الدقيقة، لذا فقد حولت البلدية بيت العمة إلى جزء من متحف "بروست" واحتفظت فيه بما بقي من أثار.

كما ألحقت حديقة العمة بالمتحف ليشكل وحدة متكاملة، وهي أيضا الحديقة الموجودة في الرواية، كل ذلك لجعل القرية مزارا أدبيا حقيقيا، وهو ما فك العزلة عن هذه القرية وبدأ آلاف المعجبين ببروست يجيئون لاكتشاف هذا المكان الذي خلق نصا مدهشا وخالدا.

وتوافد على القرية الكثير من سياح الأدب والباحثين في أدب بروست وللإقامة في هذه القرية، وتشكلت جمعية أصدقاء بروست لتتولى الإشراف على المتحف وتسييره وتوسيعه مع أمل أن يكون مقصدا عالميا متميزا لما يسمى بسياحة النخبة الأدبية والفنية والفكرية.

أمين الزاوي  
روائي وأكاديمي جزائري

تقطع الجزائر عرضا وطولا، شرقا وغربا، شمالا وجنوبا، تزور مدنها الصغيرة والكبيرة والمتوسطة، الساحلية والداخلية والصحراوية، لا شيء يوحي لك بأن هذه المدن عرفت ذات يوم كاتبا أو رساما أو مغنيا أو فنانا تشكيليا؛ فالمدن برأسمالها الرمزي، تزور هذه المدن التي لها أسماء في أطلس الخرائط، هي مدن تنتخب ولها نوادي كرة القدم، ولكن كان كتابنا لم يعيشوا فيها، لم يولدوا فيها، لم يكتبوا عنها، كان كتابنا عاشوا في العراء، كانوا أبناء السبيل الذين قطعت بهم الطرق، مشردون، لا شيء يوحي بأن محمد ديب ولد بتلمسان، لا شيء يوحي بأن الطاهر وطار أو عبد الحميد بن هوشة عاشا بالجزائر العاصمة، لا شيء يوحي بأن كاتب ياسين كاتب جزائري، لا شيء يوحي بأن إسيخام أو باية أو محمد خدة أو محمد راسم قضوا حياتهم في معركة ما بين اللوان اللوحة ومحنة الجزائر، لا شيء يوحي بأن العنقا أو دحمان الحراشي أو قروابي أو فضيلة دزيرية أو الشيخة الريميتي صرفوا أعمارهم في الغناء لصناعة فرح أبناء هذا البلد.

لا شيء يوحي بأن مفدي زكريا شاعر النشيد الوطني كان له المقام الأول في الجزائر وفي غرداية، فالمدن تولى ظهرها لكتابتها وفنانيها.

كل أثر لهم مطموس، حتى قبورهم ضاعت في المقابر، بين قبور أخرى. المدن التي لا ذاكرة لها مدن تشبه رواقا معرضا لمجرى الهواء، هواء يصفر، وذاكرة المدن كتابها وفنانوها ومسرحيوها وسينمائيوها.

هذه الأوجاع الفكرية والنفسية شعرت بها هذه الصائفة وأنا زور، قرية صغيرة بشمال فرنسا، اسم القرية أو الدشرة الأصلي هو إيلي، وهي القرية التي تمثل المكان الذي أهدى مارسيل بروست (1872-1922) لكتابه روايته الشهيرة "في البحث عن الزمن المفقود" التي حصلت على جائزة الغنكور عام 1919، وهي واحدة من أهم النصوص الروائية الفرنسية والعالمية خلال القرن الماضي، ففي هذه القرية إيلي قضى مارسيل بروست الطفل عطلة عند عمته

ليوني LEONIE ثلاث سنوات متتالية ما بين 1877 - 1880، وسنجد جميع المنابر الطبيعية في الرواية مستوحاة، بل مرسومة سرديا ولغويا من يوميات ناس هذه الدشرة أو هذه القرية ومناظرها، حيث كانت تعيش عائلة بروست البرجوازية، هي القرية بتفاصيلها الطبيعية وبمنازلها ومزارعها وعاداتها وجدانها، إلا أن بروست لجأ إلى تغيير اسم القرية من إيلي الواقعية إلى كمبراي الخيالية، ولكن التأنيث البشري والطبيعي الموجود في القرية الحقيقية هو نفسه في القرية المتخيلة.

إن الذكاء الجماعي في القرية اليوم يعمل بجد على خلق فرصة الاستثمار في هذا الكثر الذي هو مارسيل بروست وأيضا في روايته "في البحث عن الزمن المفقود"، ففي سنة 1971 وبمناسبة الذكرى المئوية لميلاد مارسيل بروست، قرر المقيمون على إدارة شأن قرية إيلي التي أطلق عليها الروائي اسم كمبراي



مارسيل بروست ذاكرة مدينة

## يجب أن تقتنع المرأة بأفكار المرأة قبل قناعة الرجل بها

الناقد الكويتي فهد الهندال يناقش ملف المرأة الناقدة والمفكرة



المرأة المفكرة مازالت أمامها تحديات كثيرة (لوحة للفنانة هيلدا حيارى)

قيمة منجز هذا المبدع؛ أم أنه قصور نتيجة انحياز أو مركزية معينة هي وراء الجهل بهذا المنجز؛ ما رسدته من ردود الأفعال كانت في حد ذاتها تحتاج ملفا نقديا وفكريا لوحدتها." ويرى الهندال أن الأمر نفسه كان أيضا مع أعمال فاطمة المرينسي ونوال السعداوي، إذ اختلف الرأي من ناقد إلى آخر، وبحسب قراءته الخاصة لهذه الأعمال، لكن أهمية المرينسي الكبيرة والسعداوي -الكلام للهندال- كبيرة جدا، لكونهما فتحنا الباب لأصوات أخرى غير مسيطرة، فبات للمرأة صوت فاعل وحضور منافس أكثر، وجدل حيوي مستمر عبر إصدارات غنية بالأسئلة الصريحة والجرئية. وفي ختام مداخلة يؤكد فهد الهندال على أن المرأة العربية تواصل منجزها النقدي والفكري، سواء في الميدان الأكاديمي أو الفكري.

ويقول "أنا مطلع ومتابع لأعمال عدد منهن لما يقدمنه من دراسات وأبحاث تضع المرأة العربية في طليعة العمل النقدي العربي. وهناك أسماء عديدة، أذكر منها زهور كرام من المغرب ودورها في تحديث مواضيع النقد العربي كما هو اهتمامها بالأدب الرقعي، وعائشة الدركمي من عُمان وما تقدمه من أبحاث ودراسات في علم السيميائية مع ترأسها لمجلس إدارة النادي الثقافي العماني، كذلك جهود عزيزة الطائي، ومنى السليمي، والناقدة ابتسام بنت مبارك، ومن العراق، أذكر جهود وجدان الصائغ المقيمة في أمريكا، ونادية هناوي، ومن الإمارات فاطمة البريكي، والبحرين ضياء الكعبي، والسعودية شيمة الشجري، ومن قطر امتنان الصمادي، وحضان الفياض، ومن لبنان يمنى العبد، ومصر سيزا قاسم، واعتدال عثمان، ومن الأردن مريم جبر، ومن الكويت سعاد عبد الوهاب، ونسيمة الغيث، ونجمة إدريس، وسعاد العنزي، وأنوار السعد، وغيرهن كثيرات".

تتابع "العرب" في مجموعة حوارات ملف "مجلة الجديد" الأخير، الحديث حول "المرأة الناقدة والمفكرة"، حيث تناولت المجلة، في عددها الـ 56، الصادر في الأول من سبتمبر الجاري، ضمن ملفها الأساسي، قصصي دور المرأة في التأسيس لنقد أدبي وفكري، معاصر ومرتبطة بالظواهر الأدبية والفكرية والجمالية التي أنتجت مشاركتها المرأة في الأدب العربي المعاصر، وكُرِّسها منجزها الأدبي والنقدي. وفي هذا الحوار مع الناقد والكاتب الكويتي فهد الهندال نستكمل بعض جوانب هذا الملف المهم من خلال مجموعة محاور أساسية مرتبطة به.

زكي الصدر  
كاتب سعودي

يرى الناقد والكاتب الكويتي فهد الهندال أن ندرة وجود المرأة العربية المفكرة لا ترتبط بالمنجز ذاته للمرأة، وإنما بتلقيه وطبيعة ذلك، فلا تزال -حسب رأيه- المرأة المفكرة في القائمة البديلة أو المؤقتة، أي لا يتم الرجوع إليها إلا في ظروف أو مناسبات معينة، بما قد يعقده الآخر غياب أو انطواء اختياريا لها.

يقول الهندال "مع أن الواقع هو تغيب لجهودها وحضورها الذي غالبا ما يكون غير مبني على أهمية المنجز الفكري الذي قدمته، فخذ على سيديل المثال أي ندوة، علمية، فكرية، أدبية، سياسية، إلخ. واستعرض الأسماء المدعوة والمشاركة ستجد أن حضور المرأة فيها متواضع مقارنة بحضور الرجل".

### الواجبات والحقوق

يؤكد فهد الهندال على ارتباط غياب المرأة وما يعانيه المجتمع العربي من تمييز جنسي تجاهها، ولا يمكن براهيه تغافل هذا الواقع، برغم مدنية وتقدمية المجتمع العربي.

ويتابع بالقول "إن تابو العادات والتقاليد لا يزال مسيطرا برغم ذلك، حيث يرى المرأة عنصرا ضعيفا أو مكمل لسدور الرجل في تنمية المجتمع، كذلك ساهمت الدولة عبر قوانينها في هضم حقوق المرأة بناء واتكالا على الفكرة الدينية والاجتماعية، وتغيب الواقع المدني الذي يرى في المرأة شريكا مؤسسا لكل نواحي الحياة وتطورها، ومسؤولا عن الواجبات كما هي الحقوق. فلا يمكن أن ننادي بحقوق المرأة دون مطالباتها بالواجبات، والعكس صحيح، وهو ما خلق لدينا تناقضا كبيرا بين دعوات تحضر المرأة وتمكينها من الحقوق، وفي نفس الوقت دعوة الكثير منهن إلى التمييز لصالحها، بحجة الاختلافات البيولوجية والسيكولوجية بينها وبين الرجل".

### حجم الإنتاج الفكري والنقدي للمرأة العربية مشجع جدا، ويدعو إلى التفاؤل، لكن العبرة في الاستمرار وعدم الركون

ويضيف "اعتقد أن بعض الفعاليات الثقافية لا تزال تعيش في ذهنية الهيمنة الذكورية، ولهذا يكون حضور المرأة شرفيا أكثر منه أساسيا، والتي بالملامة هنا أكثر على المرأة العربية، إذا كانت تعاني من تجهيل أو تغيب لدورها، المجال أمامها أكبر لكي تؤسس كيانات وفعاليات تنافس حضور الثقافة الذكورية، خاصة أن الظروف في معظم المجتمعات العربية بدت أفضل من السابق، وتساعد على تأسيس مثل هذه الفعاليات النسوية. مع الانتباه إلى

نقطة معينة، متعلقة بشأن وصول المرأة إلى رأس منظومة ثقافية معينة لا يعني أبدا أنه إنجاز للمرأة فقط، فهي بطبيعة الحال ملزمة بقوانين المكان وعاداته وذهنيته، الإنجاز الفعلي يكون في تغيير الوضع نحو تفعيل حضور المرأة بشكل واع ومسؤول أكثر، وتغيير ذهنية المجتمع وصورته التقليدية عن المرأة بالرغم من أننا دخلنا الألفية الثالثة في ظل عولة كبرى تبدلت وتحولت فيها مراكز القرار".

ويرى الهندال أن ما ذكره ربما هو ما حدا سابقا بكاتبتيهما: فلورنس هاو وإلين باس في كتابهما "لا أقتعه أكثر" الصادر عام 1973، إلى أن تقول "نحن لسنا رجالا، ولا نرغب في أن نكون. نحن معنيات باختلافاتنا، في إطار وحدود تطورنا. نريد أن نعرف ذاتنا وتاريخنا، نريد أن نتخبر علاقاتنا بالرجال، وباطفالنا وبابائنا. نريد أن نكتشف علاقتنا بالنساء، وقبل أي شيء آخر، نريد أن نصرخ لا للمزيد من الأقتعة، هذا هو ما نحسه وما نسلم معظم الشاعرات يردنه اليوم، لا للمزيد من الأقتعة، وخصوصا أقدمها، قناع الذكورة".

وفي سؤال عن عدم نجاح المرأة العربية في رسم ملامح المساواة في المشهد الفكري، وعن المعوقات التي واجهتها، يجيب الناقد "اعتقد السؤال الأهم، هل المرأة قادرة على إقناع المرأة بأهمية هذه المساواة؟ اعتقد الساحة الفعلية لذلك هي ساحة المرأة ذاتها لخوض غمار الحراك المطلوب منها، وآلا نتجه نحو قضايا أخرى قد لا تكون فيها المرأة محركا فعليا أو قطبا مركزيا. ولعل أهم هذه الساعات التعليم؛ فلا تزال المجتمعات العربية تشهد أمية عالية بين صفوف النساء في المناطق المتدنية اقتصاديا، مما يساهم في تدني الوعي بحقوقهن، ولعل زواج القاصرات مثال واضح على ذلك". وفي ظل ذلك يرى الهندال أننا اليوم في عالم مفتوح ومتصل

بواسطة وسائل عديدة، منها وسائل التواصل الاجتماعي، وهو يتابع عددا من الشخصيات النسائية العربية الفاعلة بالعمل الثقافي، ويجد أن عددا قليلا منهم، ممن يطرحن الأسئلة الكبرى ويبحثن في الجوانب الفكرية الناقد للمجتمع من حيث بناء المجتمع وصورته التقليدية عن المرأة والأيدولوجية. ويوضح الهندال أن حجم الإنتاج الفكري والنقدي للمرأة العربية مشجع جدا، ويدعو إلى التفاؤل، لكنه يرى أن العبرة في الاستمرار في البحث، وعدم الركون خلف منجز سابق أو الاكتفاء بترديد شعارات الريادة والمناقسة مع الرجل. فلا بد من التجديد المستمر، والنهوض بالمجتمع عبر أطروحات ناشئة تعيد إلى العقل اعتبارها وخاصة في تجديد الخطاب الفكري للمرأة والمجتمع.

### نساء بارزات

عن تجربة المفكر السوري الراحل جورج طرابيشي في هذا الصدد يقول الهندال "تجربة طرابيشي كانت في بدايات التعامل مع منجز المرأة العربية النقدي، واعتقد أن الوقت لو كان مسعفا أكثر لتغيرت وجهة نظره كما أظن، خاصة بعد بروز أسماء وأعمال نقدية نسائية أثبتت حضورها الفكري ولكن لا تتحدث عن إنجاز جديد لصالح إبداع المرأة العربية، وأعني فوز الروائية العمانية جوخة الحارثي بجائزة المان بوكس العالمية، وكيف كانت ردود الأفعال المتباينة بين الفرحة والواقعة بقدرة المرأة العربية على المنافسة الأدبية عالميا، وبين المشكك بمن لا يزال يبرز تحت تأثير المركزية الذكورية أو المناطية، ناهيك عن آخرين لم يتعرفوا سابقا على منجز الحارثي الإبداعي والفكري".

ويتساءل الناقد هنا "هل الجوائز العالمية أو الإقليمية هي التي تحدد فقط